التقدمية الثورية المنظمة الفلسطينية . ففي ظل هذا الواقع المعقد وفي ظل الهجرة اليهودية المكثفة الى فلسطين كانت الولادة الاولى للحركة الشيوعية في فلسطين . فكما يقول الاستاذ سمارة : « لم تنشأ الحركة الشيوعية في فلسطين نتيجة انشقاق عن حزب اشتراكي ، وذلك انسجاماً مع الانشقاق الذي شهدته الحركة الشيوعية العالمية بعد التدهور الذي أصاب « الأممية الثانية » ، وبعد نجاح ثورة اكتوبر سنة ١٩١٧ كما هي حال الاحزاب الشيوعية في فرنسا وفي ايطاليا مثلاً . ولم تنشأ هذه الحركة نتيجة تجمع عدد من الاحزاب الشيوعية في الولايات المتحدة وبريطانيا والصين . كما لم تنشأ عن تطور شرائح معينة في صفوف الحركة الوطنية الفلسطينية يؤدي بها الى الاستقلال فالإنفصال . كذلك من غير الممكن مقارنتها مع الحركات الشيوعية التي ظهرت في اطار مشاريع كولونيالية مشابهة كما في الجزائر وجنوب افريقيا . ففي فلسطين لم يقف المشروع الكولونيالي عند حدود استغلال موارد البلاد وقواها العاملة . ولا عند محاولة تغيير الانتماء القومي للسكان الاصليين ، بل تعدى ذلك الى تفريغ الارض من سكانها لاقامة كيان بديل ، له دور رئيسي في عملية السيطرة العامة على المنطقة ( ص ٤٤ ) .

ويتوقف المؤلف قليلاً عند هذه النقطة محللاً خصائص تكون الحركة الشيوعية في فلسطين ومشيراً الى « أن نشأة الحركة الوطنية في فلسطين لم تأت عبر تطور حدث في اطار الحركة القومية العربية كي تكون ولادتها طبيعية مع شروط الصراع ، بل جاءت عبر تطور حدث في اطار التجمع اليهودي ، نقل بعض الشرائح فيه من موضوعة « الوطن القومي اليهودي » الى موضوعة « الصهيونية البروليتارية » التي تأسست على ارضية المشروع الكولونيالي نفسه . ان اليسار الصهيوني الذي جاء كنتيجة لهذا التطور لم يهدف الى حل المسألة اليهودية حلاً « قومياً » فقط ، بل اضاف اليه حله « الاشتراكي » دون ان يضع في حسابه أي دور للجماهير العربية ، مما جعله في موقع التناقض المباشر مع مصالح هذه الجماهير » ( ص ٤٤ ـ ٤٥ ) .

ويتناول الكاتب مسألة نشوء الحركة العمالية اليهودية والمستجدات والتغيرات التي طرأت على اليسار الصهيوني في اوائل القرن العشرين ، اذ يقترب من حقيقة الامور عندما يخلص الى استنتاجه حول التمايز بين الحركة الاشتراكية اليهودية وبين اليسار الصهيوني « ان يسار الحركة الصهيونية أو الصهيونية العمالية لم ينشأ من المجموعات الاشتراكية التي ادى بها تطورها الذاتي الى تأكيد تناقضها مع الحل الصهيوني . بل ان هذا اليسار قد نشأ من هذا التناقض ، الذي عكس نفسه داخل الحركة الصهيونية فخلق تياراً اشتراكياً وآخر صهيونياً تمايزا على ارضية واحدة هي الحل الصهيوني ( ص ٤٦ ) .

في الواقع ان ما يسمى بيسار الحركة الصهيونية نشأ من داخل الفكرة الصهيونية . فالصهيونية منذ نشأتها وضعت نفسها في موقع النقيض للاشتراكية . فقد صدر عن المنظمة الصهيونية في روسيا القيصرية قبل ثورة اكتوبر بيان جاء فيه : « الاشتراكية هي الدمار والانحلال والعداوة ، والصهيونية هي السلام ان الاشتراكية وضعت الصهيونية على مفترق طرق... فالاشتراكية والصهيونية لا يعتبران قطبان متنافران وحسب ، بل عنصران كل منهما ينفي الاخر تماماً »* . فالمضمون الاساسي للصهيونية يتمثل في عدائها للاشتراكية العلمية كايديولوجية وممارسة .

بيد انها عندما رأت في اوائل هذا القرن ان القسم الأكبر من البروليتاريا اليهودية بدأ ينخرط ويساهم بنشاط في الاحزاب الاشتراكية وبالذات في روسيا وبولونيا وفرنسا وسواهم ، قامت بتغيير تكتيكها فاعتمدت اسلوب « البلوراليزم » التعددية التنظيمية والسياسية واستحدثت بعض الاحزاب العمالية الصهيونية متسترة بعبارات اشتراكية . وكان أهم الاحزاب الذي تمكن من استقطاب قسم من العمال اليهود هو حزب « بوعالي تسيون » ( عمال صهيون ) الذي تأسس في مدينة مينسك عام ١٩٠٥ ، وتمكن عبر اتصاله بكافة التجمعات اليهودية الاساسية في اوروبا والولايات المتحدة الاميركية ان يحمل صفة دولية اذ ضم تحت لوائه العديد من التنظيمات العمالية الصهيونية في العالم وكان يشترط على الراغب في الانضمام اليه دفع « الشاكل » والتقيد بالبرنامج الداخلي للمنظمة الصهيونية العالمية

اما المجموعات العمالية اليهودية الاشتراكية الاخرى ، فكانت تتخبط بين الحل الاشتراكي

* راجع يفسييف، « **الفاشية تحت النجمة الزرقاء** » . موسكو ١٩١٧٠ ـ ص ١٢٦ بالروسية